

محرقات مجانية

لما ذهب داود النبي إلى أرونة اليبوسي ليشتري منه بيده لكي يبني مذبحاً للرب أراد أرونة أن يعطي البيدر لداود مجاناً، إلا أن داود رفض تماماً قائلاً: **"لا بل أشتري منك بثمان ولا أصعد للرب إلهي محرقات مجانية"** (٢صم ٢٤: ٢٤).

المحرقات المجانية هي مرض روحي خبيث يتسلل إلى الكثيرين دون أن يدروا. فبينما تكون لدى الشخص رغبة حقيقية في إكرام الله بتقديم عطايا المال والممتلكات والوقت والمجهود والمشاعر، إلا أن مبدأ العطاء المطلق يبقى في كل حين في تضاد مع قوانين الذات التي تسعى للأخذ دون العطاء، وللتمسك دون التخلي. من هنا يأتي الحل الوسط بتقديم "محرقات مجانية". والمقصود بالمحرقات المجانية أن تُبقي الذات على نصيباً لها في العطية المقدمة لله. إنها تشوه عملية التترك والتخلي الذي يصير مبتوراً فيقدم لله سقطاً لا عطية. وما يزيد الطين بلة أن يبقى الشخص مخدوعاً حيث تصور له ذاته أنه قد أعطى الكثير بالفعل، بل وقد يتباهى بزهو أمام نفسه وأمام الآخرين بما أعطاه!

من الأمثلة الواضحة في الكتاب المقدس على المحرقات المجانية قرابين قايين التي لم يحسن اختيارها، ووليمة سمعان الفريسي التي صنعها ليسوع وماء لرجليه لم يعط ولا قبلة لفته ولا زيتاً لرأسه، وحقل حنانيا وسفيرة الذي اختلسا من ثمنه.

أما الأمثلة العملية في حياتنا اليومية فهي كثيرة. فهوذا واحد يعطي وقتاً لحضور القداس مختلساً منه الساعة الأولى مكتفياً بالحضور قبل قراءة الإنجيل، وثان يصلي صلاة باكر مختلساً ثمانية عشر مزموراً مكتفياً بتلاوة مزموور واحد، وثالث يصوم الصوم الكبير محتفظاً لشهوة جسده ونفسه بالأسابيع الأولى منه، ورابع يقضي الساعات مصلياً بشفتيه بينما ذهنه مبتعداً بعيداً جداً، وخامس يريد أن يخدم لكن دون أن يفقد صحته وعافيته في الخدمة، وسادس يخرج إلى الرهينة تاركاً العالم بجسده بينما يبقى قلبه هناك فيما تركه، وما إلى ذلك من أمثلة كثيرة تدرج تحت بند "محرقات مجانية" التي لا يمكن تصنيفها تحت بند محبة الرب "من كل القلب والنفس والفكر" (مت ٢٢: ٣٧)

تصور معي أن صديقاً لك أراد أن يهديك تورتة في عيد ميلادك وإذا بك تفتح العلبه لتجده وقد اقتطع منها ثلثها أو نصفها. ماذا سيكون شعورك عندئذ؟ ما حجم الشعور بالجرح والإهانة الذي سينتابك؟ ألن تكون أول عبارة تأتي على ذهنك هي نفس العبارة التي وبخ بها بطرس حنانيا: **"أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر"** (أع ٥: ٤)؟

أنظر إلى إلهنا الحنون الذي لم يحبنا بلا ثمن، ولم يقدم ذاته كمحرقة مجانية بل
اشترانا بثمن كبير كلفه أن يخلي ذاته وهو الإله آخذاً صورة عبد. ترى هل يستحق
ذاك الذي بذل الكل أن يتلقى في المقابل محرقات مجانية؟!!